نادي الشر

محمود سالم

نادي الشر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

نادي الشر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٨٨٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الشياطين و... امتحان الذكاء!	١١
الحقيبة المعدنية!	١٥
«موسكو» ... هي البداية!	٢١
مشكلة في الفضاء!	٢٥
الوصول في الوقت المناسب!	٢٩
كلمة السر ... «نهار»!	٣٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الشياطين و... امتحان الذكاء!

جلس «أحمد» أمام جهاز التليفزيون يشاهد نشرة الأخبار التي كانت مزدحمة بأنباء القتال في عدة أماكن متفرِّقة من أنحاء العالم في «أفريقيا» و«آسيا» و«أمريكا الجنوبية». أخذ يفكِّر ويتساءل بينه وبين نفسه: هل يمكن أن تكون هذه الحروب طبيعية؟! وهل فقد الإنسان عقله، حتى يجعل من حياته نوعًا من الجحيم! انتهت نشرة الأخبار، ثم جاء التعليق عليها، وكان موضوعه عن الأموال الطائلة التي تنفقها حكومات تلك الدول على التسليح والجيوش. وقال المعلِّق: إن ما تُنفقه هذه الدول في تسليح جيوشها يمكن أن يسدِّد كل ديون الدول المدينة. ويطعم كل الجوعى. ويقدِّم عملًا لكل عاطل. في النهاية. إن ما تُنفقه الدول على التسليح يمكن أن يجعل الحياة أكثر راحة، وأكثر رخاء مما يجعل العالم يعيش في سلام ...

مرَّة أخرى تساءل: إذا كان الإنسان يعرف هذه الحقيقة فلمَ لا يحقق السلام؟ ويحقق الرخاء والأمان؟!

وظلَّ «أحمد» يناقش هذه القضية بينه وبين نفسه، شاردًا يفكِّر في هذه الأمور، لكن فجأةً أضاءت لمبة حمراء في جهاز التليفون القريب منه فضغط زرًّا. وسمع صوت «خالد» يقول: هل تشاهد نشرة الأخبار.

ابتسم «أحمد» وأجاب: أظنك تفكِّر فيما فكَّرت فيه.

قال «خالد»: إنها قضية غريبة. وتبدو كلغز هائل.

أجاب «أحمد»: إنها لغز هائل بالتأكيد. لكن لكلِّ لغز حل. وأظن أننا نعرف أن هناك تجَّارًا للحروب، يستفيدون من كل ذلك. فهذه الأموال الطائلة تصبُّ في النهاية عندهم، وتتحوَّل إلى أرصدة ضخمة في البنوك تُضاف إلى ثرواتهم.

قال «خالد»: أعرف. لكن، ماذا بعد ذلك؟ ماذا بعد تحقيق هذه الأرصدة الهائلة في البنوك؟ أعتقد أن أحدهم لن يأكل أكثر من طاقته، ولن يشرب أكثر، ولن يلبس أكثر مما يحتاج، وكل هذه الأموال لا تحقِّق شيئًا.

ابتسم «أحمد»، ثم قال بعد لحظة: أنت تتحدَّث عن الملائكة يا عزيزي «خالد».

رد «خالد»: لا، الملائكة لا تأكل يا عزيزي «أحمد».

قال «أحمد»: إذَن هو الإنسان، بكل أخطائه، وطمعه وخوفه، ورغبته في السيطرة والامتلاك.

مرَّت لحظة قبل أن يقول «خالد»: إنه لغز الإنسان مرة أخرى.

ضحك «أحمد» وقال: نعم. إنه اللغز، الإنسان هو ذلك اللغز.

لم يكمل كلامه. فقد ترددت علامة أخرى في أسفل شاشة التليفون، وجاء صوت «خالد» يقول: يبدو أننا أمام اجتماع مع رقم «صفر».

ابتسم «أحمد» وقال: كنت أنتظر ذلك! صمت «خالد» ولم يرد. فقال «أحمد»: هل أنهيت المكالمة.

رد «خالد»: كنت أفكِّر ما دمت كنت في انتظار اجتماع. فهل لديك شيء جديد.

ضحك «أحمد» وهو يقول: ليس شيئًا محدَّدًا، إنه فقط مجرَّد إحساس.

ضحك «خالد» هو الآخَر وقال: آه من إحساسك الذي لا يخطئ أبدًا يومًا ما.

قال «أحمد»: إنها التجربة يا عزيزي «خالد».

مرة أخرى تردَّدت علامة أخرى، فجاء صوت «خالد» يقول: إنه اجتماع سريع. فهيا بنا ... إلى اللقاء.

ضغط «أحمد» زرَّ التليفون مرة أخرى. فاختفت اللمبة الحمراء. شرد «أحمد» لحظةً ثم قال لنفسه: هل يكون هذا الاجتماع كما فكرت! ثم وقف وهو ينصرف ويهمس لنفسه: سوف نرى.

عندما دخل قاعة الاجتماعات، كان الشياطين قد سبقوه إلى هناك. وأخذ كلٌّ منهم مكانه. ألقى عليهم التحية، فابتسم «خالد» وهو يقول: لعل «أحمد» يطفئ ظمأنا، ويكشف لنا شيئًا مما يفكِّر فيه.

ابتسم «أحمد» وهو يأخذ مكانه، دون أن يرد. بينما قالت «إلهام»: «أحمد» دائمًا لا يكشف عمَّا يفكِّر فيه إلا في الوقت المناسب.

فجأةً، انسحب ضوء القاعة، وأصبح خافتًا، ثم ظهرت الخريطة الإلكترونية وتحدَّدت على الخريطة تفاصيل «الاتحاد السوفييتي» القديم، قبل أن يتفكَّك. ابتسم «أحمد» ابتسامةً

غامضة كشفَتْها «إلهام» فابتسمت هي الأخرى. فجأةً، ظهرت صورة انفجار على شاشة الخريطة، ثم ظهرت حدود الجمهوريات الجديدة بعد تفكُّك «الاتحاد السوفييتي».

قالت «إلهام» بسرعة: إننا أمام مغامرة جديدة تمامًا. وأستطيع أن أتكهَّن ببعض التفاصيل.

ابتسم «خالد» وقال: يبدو أن «أحمد» كان محقًّا عندما قال إن هناك فارقًا حقيقيًّا بين الإنسان والملائكة.

لم يفهم بقية الشياطين شيئًا من كلمات «خالد» التي كانت جزءًا من الحوار الذي دار بينه وبين «أحمد» في التليفون. أما «أحمد» الذي ابتسم ابتسامة عريضة فقد قال: إن قليلًا من الصبر سوف يكشف أمامكم كل شيء.

فجأة جاء صوت رقم «صفر» يقول: لا بأس من هذا الحماس. وأنا أعرف لو أنكم فكَّرتم قليلًا، فسوف تصلون إلى طبيعة المغامرة. فأنا أعرف ذكاءكم. وأيضًا أعرف قدرتكم على الوصول إلى كَشْف الأشياء الغامضة.

صمت لحظةً ثم قال: سوف أعتبر كشف هذه المغامرة جزءًا من تمارين الذكاء التي تمارسونها وسوف أعطيكم فرصة.

انتظرَ لحظة. ثم أضاف: لديكم الآن فرصة نصف ساعة فقط، حتى تكشفوا المغامرة التي نحن بصددها.

كان الشياطين يسمعون كلمات رقم «صفر» في اهتمام. وعندما صمت، قال «عثمان»: أعتقد أن كشف هذه المغامرة لا يحتاج إلى عناء. إن المسألة في نظري، هي مجرَّد ترتيب للأولويات والأحداث التي نعاصرها اليوم.

قال «قيس»: إذَن، هيا بنا نبدأ الترتيب!

قال «عثمان»: لا بأس، الترتيب يبدأ أولًا من الخريطة التي أمامنا. لقد حددت شيئَين هامَّين هما «الاتحاد السوفييتي» القديم، و«الاتحاد السوفييتي» الجديد.

ثم ابتسم وأضاف: وهو لم يعُد اتحادًا طبعًا، إنما ما يسمونه الآن، دول «الكومنولث». أو الدول المستقلة التي يجمعها اتفاق.

قالت «إلهام»: ثم ماذا؟!

قال «عثمان»: تبعًا لترتيب الأولويات فإن المغامرة تتعلق بدول «الكومنولث».

ثم نظر إلى «أحمد» وسأل: أليس كذلك؟!

ابتسم «أحمد» وقال: إنني أستمع، فأنا مثلك أحاول ترتيب الأولويات.

دخل «بو عمير» في الحديث قائلًا: دعني أشترك معك في الترتيب.

مرَّت لحظة قصيرة. ثم قال: إن أهم ما حدث بعد ذلك تفكك «الاتحاد السوفييتي» القديم، هو وضع القوات المسلحة.

قال «عثمان»: هذا حقيقي.

أضاف «بو عمير»: لقد كانت هي القضية التي ثار حولها الجدل طويلًا. خصوصًا وأن الاتحاد القديم يملك ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية، وأسرارها.

قال «فهد»: لقد وضعت يدك على قلب المشكلة.

أضاف «عثمان»: إننا نرتِّب الأولويات بطريقة جيدة تمامًا.

قال «بو عمير»: في الوقت الذي كانت فيه الأسلحة النووية مشكلة، كانت هناك دول، تريد أن تدخل «النادي النووي».

تساءلت «ريما»: ماذا تقصد؟

رد «بو عمير»: الدول الكبرى التي تمتلك أسلحة نووية تشكل ناديًا، لا ينضم إليه إلا مَن يمتلك هذه الأسلحة ولديه أيضًا ترسانة كبيرة منها.

صمت لحظة ثم أضاف: إن الصراعات التي تدور في العالم لا تنتهي. والقوة النووية تشكل أكبر القوى في عالمنا المعاصر. صحيح أن هذه القوة لا يمكن استخدامها لأنها تمثِّل كارثة. ولا تنسَ ما حدث في المفاعل النووي «السوفييتي» ... «تشرنوبل»، فلا تزال أثاره مستمرة برغم مرور السنين، فما بالكم بالسلاح النووي ذاته؟!

كان الشياطين يتابعون الحوار الدائر باهتمام شديد. فقال «باسم»: دعوني أختصر لكم الطريق.

التفت إليه الجميع، في نفس اللحظة التي ابتسم فيها «أحمد»، في انتظار ذلك الاختصار الذي أشار إليه «باسم».

قال «باسم»: وسط كل ما حدث، هناك أسرار نووية، تساوي الكثير.

فجأةً، قطع صوت رقم «صفر» حوارهم وقال: لقد وصلتم فعلًا إلى طبيعة المغامرة. وهذه مسألة تُسعدني تمامًا، أن تصلوا بالحوار والفِكر إلى قلب المسألة بهذه السرعة.

توقَّف لحظة، ثم أضاف: إنني في الطريق إليكم. حتى أضع أمامكم كل تفاصيل الصورة.

أخذ صوت خطواته يقترب. في الوقت الذي كان الشياطين يشعرون بسعادة غامرة فقد نجحوا في امتحان الذكاء أمام الزعيم.

الحقيبة المعدنية!

عندما توقفت أقدام رقم «صفر» كان الشياطين قد استعدوا، إن حديث رقم «صفر» لن يستغرق الكثير، بعدها يمكن الانطلاق إلى حيث المغامرة هناك، كان الصمت يسود القاعة تمامًا، ولم يكن يلمع في ضوئها الخافت إلا تفاصيل الخريطة الإلكترونية.

قطع الصمت صوت الزعيم يقول: أنتم وضعتم يدكم على القضية الرئيسية في المغامرة. فأخطر ما حدث بعد تفكُّك «الاتحاد السوفييتي»، هو ترسانته المسلحة، وأنتم تعرفون أن سباقًا ضخمًا وصراعًا شديدًا. كان يقوم بين «الاتحاد السوفييتي» القديم و«الولايات المتحدة الأمريكية». وهما القوتان العظميان اللتان تُسيطران على العالم. كلٌّ واحد في معسكره. «أمريكا» في المعسكر الرأسمالي. و«الاتحاد السوفييتي» في المعسكر الاشتراكي.

توقف رقم «صفر» قليلًا، ثم أضاف: إن الصراع بين القوتين العظميين، صراع قديم. كان طبيعيًّا أن يهزم أحدهما الآخَر. فلا يوجد صراع فقط لمجرَّد الصراع. إنما هو الرغبة في الانفراد بالهيمنة وفرد سلطته على العالم، وكانت خطة «أمريكا» ... أن تفتح باب الصراع النووي؛ لأنها تعرف أن ذلك يجهد ميزانية «الاتحاد السوفييتي»، وهذا ما حدث بالفعل. ومنذ أن أعلن الرئيس «ريجان» برنامج «حرب النجوم» لقد اكتشف ... «الاتحاد السوفييتي» أنه يدخل في سباق على حساب خطط التنمية فيه. وهذا يؤثر على حياة الشعب.

مرة أخرى، سكت الزعيم قليلًا. ثم عاد ليكمل شرح تطوُّر الصراع، حتى الوصول إلى تفاصيل مغامرة الشياطين. قال: وبدأت الرغبة تظهر في وقف هذا السباق بين القوتين العظميين وعندما جاء الرئيس الحالي «بوش»، والرئيس السابق للاتحاد السوفييتي «جورباتشوف»، وضعت الرغبة موضع التنفيذ، وتوقَّف سباق التسلُّح، بل إنه بدأ إعدام الصواريخ متوسطة المدى، كنوع في بناء الثقة بين الاثنين، ثم جاء تفكُّك «الاتحاد

السوفييتي» إلى قومياته المتعدِّدة وظهرت دول مستقلة من داخله. مثل «روسيا» و«جورجيا» و«أوكرانيا» و«أوزبكستان» وغيرها ورغم استقلال هذه الدول ظلَّت القوات المسلحة القديمة كما هي. لكن، ظهرت هناك فوضى نووية في الاتحاد الجديد فهذه الدول الجديدة المستقلة، تريد ميزانيات لبناء اقتصادها الجديد أيضًا. وبدأ التفكير في بيع الأسرار النووية، التي تساوي الكثير. فـ «الاتحاد السوفييتي» القديم كان متقدِّمًا تمامًا في مجال السلاح النووي. هنا تدخَّل تجَّار السلاح، والذين لا يهمهم شيء في العالم إلا الربح، حتى ولو كان ذلك على حساب رفاهية الشعوب.

في نفس الوقت هناك عدة دول غنية لا تملك الأسرار النووية لكنها تملك المال اللازم لها. ولأن الاستعمار القديم عندما قسَّم العالم، ترك وراءه الكثير من المشاكل التي لم تحسم فقد جاء وقت حسمها، وبدأت الحروب بين الدول، في نفس الوقت، أيضًا بدأت هناك تكتُّلات عالمية جديدة تظهر على الساحة، وتريد أن تمتلك هذه القوة النووية. حتى تقف ندًّا جديدًا في الساحة العالمية.

صمت رقم «صفر» بينما كان الشياطين يتابعون هذا السرد التاريخي للمشكلة كلها. مرَّت دقيقتان ثم عاد ليكمل حديثه: إننا أمام قضية هامة لها أطراف عديدة. طرف يملك الأسرار النووية، وطرف يريد شراءها ويملك المال. ويصبح من الضروري أن يدخل مَن يقوم بدور الوسيط ليعقد هذه الصفقات. خصوصًا وأن القوى التي تريد امتلاك السر النووي تفعل ذلك سرًّا.

فجأةً سألت «زبيدة»: لكننا بعيدون عن هذا الصراع النووي.

جاء رد رقم «صفر» يقول: إن منطقتنا من المناطق الملتهبة في العالم، والقابلة دائمًا للانفجار، فهي تملك أكبر احتياطي بترول في العالم بالإضافة إلى إنها غنية بالمعادن، وبالأراضي الزراعية ... وبسوق استهلاكي كبير. ومَن يسيطر عليها يربح الكثير وأنتم تعلمون طبعًا ما حدث في حرب الخليج واعتداء «العراق» على «الكويت» ولم تنسوا أيضًا الثماني سنوات التي ظلَّت الحرب خلالها مشتعلة بين «العراق» و«إيران» بجانب أن هناك صراعات في جنوب شرق آسيا، وهي منطقة ملاصقة لمنطقتنا تمامًا. أما تجار السلاح والحروب، فيهمهم أن يدخل السلاح النووي منطقتنا، لأن ذلك سيكون بداية مشاكل لا نهاية لها ... لقد رسم الزعيم خلفية كاملة للصراع النووي ... ورغم أن الشياطين كانوا يسمعون ذلك باهتمام ... ولكنَّ المغامرة ذاتها لم تكُن قد تحدَّدَت بعد.

مرَّت فترة صمت قبل أن يقول الزعيم: والآن، تأتي مغامرتنا. إن هناك صفقة نووية سوف تتم، وسوف تنتقل بعض هذه الأسرار النووية من جمهورية «أوكرانيا» إلى الشرق

الأوسط، وحتى نجنب منطقتنا من هذا الصراع الجديد، فإن علينا أن نوقف هذه الصفقة المدمِّرة. إن أمامنا عدوًّا عالميًّا. إنهم مجموعة من تجار الحروب «الأمريكان» و«الإنجليز» و«الفرنسيين» وهناك أطراف أخرى. هذه الأسرار النووية موجودة في حقيبة معدنية سرية، إن هذه طبعًا هي الخطوة الأولى. فهناك أشياء أخرى تابعة لا بد من الحصول عليها، حتى تتم صناعة القنابل النووية كالماء الثقيل وغيره. لكن شيئًا من هذا لن يتم، ما لم يتم الحصول على هذه الأسرار التي تمثل الخطوة الأولى في هذه الصناعة القاتلة. هناك مَن يمتلكون هذه الأسرار في دول أخرى، وهم مَن نسمِّيهم أعضاء «النادي النووي» وإنْ كنتُ أسمِّيه «نادي الشر» لكنهم يسيطرون على هذه الأسرار حتى لا تتسرب خارج بلادهم. وما حدث في «الاتحاد السوفييتي» القديم، هو بداية هذه الفوضى النووية، التي يمكن أن تدمر ليس منطقتنا فقط، لكن يمكن أن تدمر العالم كله. فأي مجنون يستطيع لو امتلك هذه القوى الجبارة، أن يُشعل حربًا، يكون فيها فناء العالم.

فجأةً سأل «مصباح»: هل تمَّت الصفقة.

أجاب الزعيم: نعم. ويبقى أن تصبح واقعًا، وأن تنتقل هذه الأسرار النووية من مكانها إلينا.

صمت الزعيم لحظة ثم أضاف: إن المجموعة التي ستخرج إلى المغامرة سوف تجد كل التفاصيل عنها عند عميلنا هناك، ذلك أن مجموعة من رجالنا يتابعون كلَّ ما يتم، بل إن واحدًا منهم اشترك في الصفقة فعلًا.

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين، فقال الزعيم: أعرف أن ذلك يُدهشكم، لكن كان لا بد أن نكون هناك، وأن نعرف أدقَّ التفاصيل عن هذه العملية الخطرة.

فجأةً لمع ضوء في طرف الخريطة، فقال رقم «صفر»: سوف أعود إليكم حالًا. هناك رسالة في الطريق.

أخذ صوت قدمَيه يبتعد حتى اختفى تمامًا.

قال «عثمان»: إنها مغامرة جديدة، فهذه أول مرة سوف نقوم بمغامرة في الاتحاد الجديد.

أضاف «فهد»: إنها مغامرة نووية.

ابتسم الشياطين لهذا التعليق، أما «أحمد» فقد كان مستغرقًا في التفكير، حتى إن «إلهام» داعبته قائلة: هل جاءت المغامرة كما فكَّرت؟!

ابتسم «أحمد» ابتسامة صغيرة وأجاب: كالعادة.

ولم يعلِّق بأكثر من هذه الكلمة. لكن «إلهام» عادت تقول: أنت تُخفي عنَّا الكثير يا عزيزي «أحمد».

ضحك «أحمد» ضحكة خافتة وعلَّق: وهل يخفى شيء على الشياطين.

تردَّد صوت أقدام رقم «صفر»، فاستعدَّ الشياطين، وعندما توقَّفت قدماه تمامًا قال: لقد حقق عميلنا في الصفقة انتصارًا هائلًا.

لم يستطع «عثمان» الانتظار فتساءل: كيف؟

قال الزعيم: سوف يقوم هو شخصيًّا بنقل الحقيبة السرية.

التقت أعين الشياطين. وتردَّدت تعليقات سريعة بينهم؛ فقد كان الخبر مثيرًا فعلًا.

فسألت «إلهام»: كيف.

قال رقم «صفر»: إن عملاءنا يعرفون تمامًا ما يريدون ويستطيعون تحقيقه.

قالت «ريما»: إذَن، لقد تحقَّقَت المغامرة.

رد الزعيم: طبعًا لم تتحقَّق. فليس معنى ذلك؛ أن يقوم أحد رجالنا بنقل الحقيبة أنها انتهت، فهناك عشرات العيون التي سوف تكون وراءه. ويمكن أن تتخلَّص منه في الوقت المناسب. أيضًا، إنه شيء خطير أن ينكشف أحد رجالنا فيعرف تجار الحروب أن رجالنا بينهم.

تساءل «بو عمير»: أظن أن الزعيم يقصد واحدًا من اثنين.

جاء صوت الزعيم يقول: هذه بداية جيدة ... ما هما؟

قال «بو عمير»: إما خطف رجلنا بالحقيبة، أو خطف الحقيبة ذاتها.

قال رقم «صفر» في صوت به رنة ابتسامة: لن نقول خطف. ولكن نقول الحصول عليها. إن مهمتكم سوف تكون الحصول على هذه الحقيبة الهامة جدًّا. أما عميلنا، فيجب عدم التعرُّض له، أو إعطائه الفرصة للهرب، حتى يظل قادرًا على العمل بينهم.

سكت رقم «صفر» وانتظر أن يقول أحد الشياطين شيئًا. لكن أحدًا لم يتحدَّث.

فقال: أظن أن مهمتكم الآن أسهل، وقد تحدَّدت تمامًا.

ثم تدارك وقال: لا أقصد أسهل لأنها عملية بسيطة بالعكس، إنها عملية مُعقَّدة، لأنكم سوف تتعرَّضون لأعداء مختلفين. وربما في كل خطوة يظهر عدو آخر، في نفس الوقت لا بد من الحرص على سلامة عميلنا.

ثم سكت لحظة سريعة وأضاف: «أحمد» يعرف ذلك جيدًا.

ابتسم «أحمد» وقال: نعم أيها الزعيم.

قال رقم «صفر»: إذَن عليكم بالانطلاق الآن، فسوف يكون عميلنا في «أوكرانيا» بعد غد، وعليكم أن تكونوا هناك، لتتابعوا العملية من بدايتها.

وبعد لحظة أضاف: المجموعة سوف تعرفونها، وأنتم تجهِّزون أشياءكم.

ثم قال: أتمنى لكم التوفيق!

وأخذ صوت أقدامه يتباعد حتى اختفى، وكان على الشياطين أن يسرعوا استعدادًا لهذه المهمة الخطرة.

«موسكو» ... هي البداية!

في غرفة «أحمد»، كانت أسماء مجموعة الشياطين مكتوبة على شاشة التليفزيون. كان معه في المغامرة «فهد» و«خالد» و«مصباح» و«باسم». ما إن قرأ الأسماء حتى لمع ضوء في جهاز التليفون. ابتسم «أحمد» وهو يقول لنفسه: لا بد أنه واحد منهم! ثم ضغط زرًّا في الجهاز فجاء صوت جعله يبتسم أكثر: لم يكن صوت واحد من المجموعة. كان صوت «إلهام» التي قالت: كنت أتمنى أن أكون في هذه المغامرة.

رد «أحمد»: كان ذلك سيسعدني كثيرًا، لولا أنها أوامر رقم «صفر».

قالت «إلهام»: لا بأس. وأتمنى لكم مغامرة طيبة.

ثم انتهت المكالمة. ابتسم «أحمد» وهو يضغط زر الجهاز. إنه يعرف أن كل الشياطين كانوا يتمنون الاشتراك في هذه المغامرة. فهذه أول مرة يذهبون فيها إلى هناك. بعد تقسيم «الاتحاد السوفييتي». في نفس الوقت فهو يعرف أن «إلهام» واحدة من أنشط مجموعة الشياطين، لقد شعر بالأسى لحديث «إلهام» لكن فجأةً تردَّد ضوء لمبة التليفون، فضغط الزر بسرعة. وجاء صوت «فهد» يقول في سعادة: هل ستنتظر كثيرًا؟

رد «أحمد» في هدوء: سوف نلتقي في الجراج بعد ربع ساعة.

قال «فهد» متسائلًا: هل هناك شيء؟ إن صوتك به رنة حزن!

قال «أحمد»: لا شيء.

سأل «فهد»: هل تغير خط السير؟

رد «أحمد»: لا. سوف أخبرك عندما نلتقي.

انتهت المكالمة، فانهمك «أحمد» في تجهيز حقيبته السرية. فكَّر بسرعة: ماذا يمكن أن نحتاج في هذه المغامرة؟ رد على نفسه: بالتأكيد سوف نحتاج لكل شيء، فمَن يدري ماذا يحدث؟ وإن كان المهم هو الإبر المخدرة، وكرات الدخان تأكد من كل شيء في الحقيبة،

ثم خرج مسرعًا. عندما وصل إلى المكان المتفق عليه، كانت بقية المجموعة في انتظاره. كان لا يزال يشعر بالأسى من أجل «إلهام»، لكنه حاول أن يبتسم حتى لا يلاحظه أحد، قفز «خالد» إلى عجلة القيادة، بينما كان «باسم» و«مصباح» قد أخذا مكانهما في الكرسي الخلفي أما «فهد» فقد تأخَّر لحظة، كان يريد التحدُّث إلى «أحمد». ابتسم «أحمد» وهو يقول: ليس الآن ... فالطريق أمامنا طويل. وسوف نتحدث كثيرًا.

سأل «فهد» بسرعة: هل هي مسألة هامة؟

مرة أخرى ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنها مسألة نسبية.

قال «فهد» مبتسمًا: بالنسبة للشياطين فهي مسألة واحدة.

جاء صوت «خالد» يقول: هل هناك سر؟

ضحك «أحمد» وهو يدخل إلى المقعد الأمامي. بينما «فهد» ينضم إلى «باسم» و«مصباح» وقال: لا يوجد سر بين الشياطين.

وعندما انطلقت السيارة. كانت كلمات «إلهام» لا تزال تدور في خاطر «أحمد» الذي قال فجأة: لقد كانت «إلهام» تتمنى أن تكون معنا في هذه المغامرة.

ابتسم «فهد» وعلَّق: لهذا كان صوتك حزينًا.

رد «أحمد»: نعم فهذه أول مرة تُبدي فيها هذه الرغبة صراحة.

قال «باسم»: الحقيقة إن مجموعة الشياطين كلها كانت تتمنَّى ذلك. لكن هذا اختيار الزعيم الذي يعرف بالتأكيد احتياجات كل مغامرة.

في هذه اللحظة كانت البوابات الصخرية تفتح في هدوء، فظهر الفضاء عريضًا رحبًا. وعندما تجاوزت السيارة البوابات كانت رسالة قد وصلت إلى «أحمد» سجلها جهاز الاستقبال، فقد أحسَّ بدفء الجهاز. وعندما وضع يده عليه وبدأ يقرأ الرسالة. كانت مسحة حزن على وجهه. فقد كانت الرسالة من «إلهام» تتمنَّى لهم حظًّا سعيدًا. نقل الرسالة إلى الشياطين.

فعلق «مصباح»: إنها أكثرنا رقة.

وقال «باسم»: مع الأسف، إن المغامرة سوف تكون شاقة هذه المرة. ولا أظن أن «إلهام» كانت تحتمل طبيعة الصراع القادم.

لكن «خالد» قال: أظن أن الشياطين جميعًا يملكون قدرة الصراع وفي كل الأحوال.

وكأن كلمات «خالد» كانت نهاية لهذا الحوار الذي ظهر فيه مدى إعزاز الشياطين بمجموعتهم كلها. كانت السيارة تقطع الخلاء في سرعة رهيبة. في نفس الوقت الذي كان

فيه الصمت يحيط بكل شيء. حتى الشياطين كانوا قد استغرقوا في الصمت، لكنه لم يستمر طويلًا. فقد قطعه «فهد» متسائلًا: إننا حتى الآن لم نرسم خطتنا للتحرك؟!

رد «أحمد»: إن خطتنا سوف تبدأ من هناك، من «موسكو» نفسها، فهناك سنعرف كل التفاصيل من عميل رقم «صفر» الذي يتابع بالاتفاق مع عميل «جورجيا» خطة التحرُّك ... «الصندوق الحديدي».

انتظر لحظة ثم أضاف: أنتم تعرفون أن حدود «الاتحاد السوفييتي» تتلامس مع حدود منطقتنا في «الشرق الأوسط». لهذا، فقد تكون حركة الصندوق من هناك إلى منطقتنا مباشرة.

قال «باسم»: اسمحوا لي أن أفتح حوارًا حول دخول هذه الأسرار النووية إلى منطقتنا ...

سكت لحظة ثم تساءل: لماذا منطقتنا بالذات؟

رد «أحمد»: نحن نمثل منطقة تتوسَّط العالم كله، وهي منطقة غنية تمامًا، فالبترول في منطقتنا، والمخزون منه يمثل حركة العالم الصناعية، فنحن نملك في منطقتنا أكبر مخزون بترولي في العالم. من ناحية أخرى، فإن الاحتمالات بوجود الثروة المعدنية كبيرة أيضًا.

كانت بقية المجموعة تستمع إليه في هدوء فأضاف: والمنطقة بهذا الشكل تمثل بؤرة صراع، في نفس الوقت فإن شعوب المنطقة من الضروري أن تدافع عن نفسها، خصوصًا وأن هناك دولًا أخرى على حدودنا تمتلك هذه القوة النووية، وبالتالي فإن تجَّار الحروب يضعون أعينهم على منطقتنا التي تغلي بالصراعات.

قال «فهد»: إنني أتذكَّر الآن دعوة الرئيس «حسني مبارك» إلى إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية.

أضاف «أحمد»: هذا صحيح. وفي نفس الوقت الذي تجد فيه دعوة الرئيس «مبارك» تأييدًا عالميًّا ... فإن تجَّار الحروب لا يستسلمون ببساطة.

ثم تنهَّد «أحمد» وهو يضيف: إنهم يريدون سرقة ثروتنا بأي طريق، وأحد هذه الطرق تلك الأسلحة النووية التي تتكلَّف المليارات.

قال «مصباح»: إنها قضية معقدة فـ «الاتحاد السوفييتي» القديم يمتلك قوة ضخمة في هذه الترسانة المخيفة. وما دام قد استسلم في صراعه مع القوى العظمى الأخرى. فمن الضروري أمام أزمته الاقتصادية الآن أن يلجأ إلى بيع هذه الترسانة، وأن يظهر مَن يتاجرون في هذه الأسرار الخطيرة.

بينما كان الشياطين منهمكين في حوارهم، كانت ملامح المطار تظهر من بعيد ... فقال «خالد» أمامنا خمس دقائق فقط، ونكون بعدها على أرض المطار.

ولم تكَد تمضي الدقائق الخمس، حتى كانت سيارة الشياطين تقف أمام بوابة الدخول. غادروها بسرعة، بينما كان هناك من ركبها ... وخرج بها من المكان، إنه واحد من التابعين للمقر السري. كانت حركة المطار نشطة تمامًا. والركاب، داخلون وخارجون. ومكبرات الصوت يتردَّد صداها داخل صالة السفر الواسعة والمزدحمة، تعلن عن قرب وصول طائرة، أو سفر طائرة أخرى. لكن موعد طائرة الشياطين كان يحتاج لبعض الانتظار. وكعادة «أحمد» اتجه إلى محل بيع الكتب والجرائد. أما بقية الشياطين فكانوا يراقبون حركة المسافرين باهتمام، فمنذ أن وضعوا أقدامهم داخل المطار اعتبروا أن مغامرتهم قد بدأت ... وقف «أحمد» يقرأ عناوين الصحف بسرعة، فجأة ... توقَّفَت عيناه عند كتاب، كان اسم الكتاب: «الوحش الهائج» ... مدَّ يده وأخذ الكتاب، وتصفَّحَه بسرعة، ثم احتفظ به، وأخذ مجموعة الجرائد التي صدرت، ودفع ثمنها، واتجه إلى الشياطين، مدَّ «خالد» يده، وأخذ الكتاب من «أحمد» وقرأ عنوانه، ثم ابتسم وهو يقول: لعلَّها رواية عن مصارعة الثيران.

قال «أحمد» مبتسمًا: إنه كتاب عن مغامرتنا.

ظهرت الدهشة على وجه «فهد» وتساءل: كيف؟

قال «أحمد»: إنه عن القوة النووية «السوفييتية».

فجأة تردَّد صوت المذيعة الداخلية للمطار تعلن عن ضرورة الاتجاه إلى الطائرة المسافرة إلى «موسكو» والتي ستقوم بعد ربع ساعة.

تحرَّك الشياطين وأخذوا طريقهم إلى هناك بينما كان «فهد» لا يزال يحتفظ بالكتاب. وعندما استقروا داخل الطائرة تفرَّقوا كالعادة، وجلس كلٌّ منهم في مكان، فالسفر كما يقولون دائمًا أحسن وسيلة لجمع المعلومات، وعندما دارت محركات الطائرة، كان هذا يعني البداية الحقيقية، لمغامرة «نادي الشر».

مشكلة في الفضاء!

عندما تحرَّكت الطائرة، كان «أحمد» يستعيد في ذاكرته بعض المعلومات. قال لنفسه: إنه موسم الثلوج وسوف نتحرَّك داخل ثلاجة هناك، ولا بد أن نستعد لذلك، فهذه أول مرة ندخل فيها في مغامرة في مثل هذا الجو لكن لا بأس، إن عملاء رقم «صفر» هناك سوف يوفِّرون لنا ما نريده. نظر حوله، كان الشياطين كل في مكان، فتح كتاب «الوحش الهائج» واستغرق في القراءة، ويحكي الكتاب مراحل اتفاق الحد من التسلح، وكان الراكب المجاور له قد استغرق في النوم.

كان كتاب «الوحش الهائج» مُثيرًا تمامًا فهو يتحدَّث عن الطاقة النووية في دول «النادي النووي» أو «نادي الشر» كما يسمِّيه الزعيم، ثم توقَّف عند فِقرة معيَّنة، كانت الفِقرة تقول: إن «أمريكا» و«روسيا الاتحادية» قد اتفقا على تحويل مادة اليورانيوم عالية التخصيب الموجودة في الأسلحة النووية الروسية إلى وقودٍ له نسبة تخصيب أقل؛ لاستخدامه في المفاعلات النووية وإنتاج الكهرباء في «أمريكا».

قال «أحمد» في نفسه: إذا كان هذا حقيقي فإنه سوف يكون عملًا عظيمًا، أن تتحول الأسلحة الفتَّاكة إلى كهرباء يستفيد منها الناس! ومرة أخرى استمرَّ يقرأ حتى وقف عند سطور محدَّدة كانت هذه السطور تقول: إن الاتفاق يضمن عدم وصول هذا النوع من المواد إلى جهات غير مرغوب فيها.

فكَّر «أحمد» أن الجهات غير المرغوب فيها هي نفسها الجهات التي تتسابق للحصول على مثل هذه المواد، وهنا يظهر تجَّار الحروب والسماسرة، الذين لا يهمهم سوى تحقيق الربح فقط.

فجأة اهتزَّت الطائرة بعنف، وتعالت صيحات ركاب الطائرة، جاء صوت المذيعة الداخلية يحاول أن يطمئن الركاب. قالت المذيعة إنه مجرَّد مطب هوائي وإن الطائرة تمرُّ

بمنطقة قلاقل، وعلى الركاب أن يهدءوا، لكن الطائرة، كانت وكأن قائدها قد فقد السيطرة عليها. ووسط هذا الضجيج الْتَقت أعين الشياطين وتفاهمت، وكان اتفاقهم على أن يصلوا إلى قائد الطائرة، وأن يشتركوا في أي عمل.

لكن «أحمد» فكَّر: إن قائد الطائرة الآن يحتاج إلى التركيز ... والهدوء وأي اتصال به قد يوقعه في خطر ما، والخطأ في الطيران يعني كارثة. اقترب «فهد» من «أحمد» وقال، بينما كان يهتز تبعًا لاهتزاز الطائرة، الذي جعل الركاب وكأنهم ألعاب صغيرة.

قال «فهد»: يجب أن نسرع إلى الكابتن، من الضروري أن يكون في حالة سيئة الآن.

رد «أحمد»: وهذا ما أخشاه، أن يكون ظهورنا دافعًا للخطأ.

قال «فهد»: من الواضح أنه فقد سيطرته على الطائرة.

لم يرُدَّ «أحمد». كانت الطائرة تهتز بشدة، والركاب متشبِّثون بالمقاعد، لكنهم مع ذلك كانوا يصطدمون ببعضهم البعض. اتخذ «أحمد» قراره، وقفز في الطريق إلى كابينة الطائرة، لكنه اصطدم بالباب، كانت الصدمة عنيفة، جعلته يشعر بالألم. لكنه مع ذلك استمرَّ في طريقه، وهو يحاول أن يُمسك بكل ما تصل إليه يداه. وأخيرًا وصل، لكن باب الكابينة كان مُغلقًا، دقَّ عليه بعنف لكنَّ أحدًا لم يفتح الباب، قال لنفسه: إما أنهم لم يسمعوا، أو أنهم مشغولون بالسيطرة على ذراع القيادة. فجأة فُتح الباب وظهر ضابط القيادة كان يبدو مذعورًا جدًّا.

قال له «أحمد» بسرعة: ماذا هناك؟

رد الضابط: لا شيء، اطمئنُّوا، وسوف تنتهي الأزمة حالًا.

قال «أحمد»: إنني طيار، ولي دراسات في مجال هندسة الطائرات، فقط أريد أن أعرف ماذا هناك، ربما استطعتُ أن أقدِّم عملًا مفيدًا.

نظر له الضابط لحظةً، كان كلٌّ منهما متشبِّثًا بمكانه، بينما ظلَّت الطائرة في اهتزازها العنيف. فجأةً قال الضابط: لقد تعطَّل أحد أجنحة الطائرة.

سأله «أحمد» بسرعة: لعلَّه الجناح الأيسر! فالمحاولة واضحة في عملية الاتزان.

قال الضابط: هذا صحيح.

وقبل أن يُكمل كلامه، كان «أحمد» قد أسرع في طريقه، وقفز داخل كابينة القيادة وبسرعة قال للكابتن: أعطِني مكانك.

لكن الكابتن لم ينظُر له، وربما لم يسمعه، كان يقبض على مقبض القيادة في محاولة مستميتة حتى لا تميل الطائرة، وتفقد توازنها نهائيًّا، في نفس اللحظة، نظر له ضابط آخَر في استفهام وسأل: ماذا تفعل هنا؟

لكن «أحمد» لم ينتظر، فقد مدَّ يدَه، وأمسك بعجلة القيادة في قوة، ثم استأذن الكابتن بهدوء غير أن الكابتن نظر له في قسوة، وكاد يقفز فوقه، إلا أن «أحمد» كان قد استطاع أن يعيد اتزان الطائرة. صرخ فيه الكابتن: مَن أنت؟!

إلا أن «أحمد» لم ينظر إليه ... نظر له الكابتن في دهشة، فقد أدرك أنه أمام عقل يفكِّر ويعرف جيدًا ماذا يفعل. بدأ «أحمد» يهبط بالطائرة، ويخفض في سرعتها، في نفس الوقت كان يفعل كل شيء بثقة كاملة، مما جعل طاقم الطائرة، ينظرون له في إعجاب! وأمام تصرفات «أحمد» بدأ كل شيء يهدأ، قال في هدوء: من الضروري أن نهبط في أقرب مطار، فلا بد من إصلاح جناح الطائرة، فالرحلة طويلة، ولا تستطيع الطائرة أن تكملها.

كان الجميع يستمعون إليه دون أن يعلِّق أحدهم بكلمة، فجأةً دخل «فهد» وسأل: ماذا حدث، إن ركاب الطائرة يبكون؟

ابتسم «أحمد» وقال: من الطبيعي أن يبكوا؛ فقد كان الموقف صعبًا، لكنه تحسَّنَ.

ثم نظر إلى الكابتن وقال: أرجو أن تُطمئن ركاب الطائرة.

ظلَّ «أحمد» يقود الطائرة في حذر بعد أن غيَّر اتجاهها، وأخذ طريقه إلى مطار «روما» فهو أقرب مطار بالنسبة لموقع الطائرة، لكن بالرغم من ذلك لم يكُن يعني أن كل الأمور قد استقامت فقد كان من المحتمل هبوب رياح قوية سوف تؤثِّر في تغير خط سيرها، وأن تحدث مشاكل صعبة وبرغم أن كابتن الطائرة قد تحدَّث إلى الركاب، فإنهم ظلوا يشعرون بالقلق. وأخيرًا ظهرت ملامح مطار «روما»، كان الوقت قبل غروب الشمس، وكل تفاصيل المطار واضحة في ضوء النهار ... تحدث «أحمد» إلى برج المراقبة ليطلب النزول وأخبَرَهم بالعطل الموجود في جناح الطائرة وكانت المفاجأة، أن المطار طلب إليه ضرورة استهلاك الوقود الموجود في الطائرة، حتى لا تحدث كارثة. حاول «أحمد» أن يتفاهم مع برج المراقبة في ضرورة السماح له بالهبوط. إلا أن كابتن البرج رفض رفضًا قاطعًا.

أخيرًا قال «أحمد» مخاطبًا كابتن البرج: أرجو أن تحدِّد لي المكان الذي سأهبط فيه.

ردَّ الكابتن: لا يمكن النزول الآن، ولا يزال لديك الكثير من الوقود.

ردَّ «أحمد»: سوف أتحمَّل مسئولية الهبوط، فأنا أعرف يقينًا ماذا أفعل.

قال كابتن البرج: هذا غير مسموح به إطلاقًا، خصوصًا وأن الطائرة تحمل حمولتها كاملة وفي هذا مغامرة غير مأمونة العواقب.

رد «أحمد»: لا يا سيدي إن بقاءنا في الفضاء هو الكارثة الحقيقية، أرجوك.

لم يرُدَّ الكابتن ولم يكُن أمام «أحمد» إلا أن يظلَّ محلِّقًا فوق المطار لكن فجأةً، مالت الطائرة بشدة، ففهم أن الركاب هم السبب، فقد تجمعوا في مكان واحد، فكَّر: لا بد أن

أحدِّد المكان، دون الاعتماد على برج المراقبة، لكنه في نفس الوقت كان يخشى وقوع أية مفاجأة فهو يعرف أنه قانونًا لا يستطيع الهبوط. ما لم يأذن له قائد البرج بذلك، حلَّق فوق المطار مرة ثانية حتى استجمع كلَّ تفاصيل أماكن الهبوط، وحدَّد الأماكن المشغولة والأماكن الخالية. كان هناك مكان خالٍ بين طائرتَين في وسط المطار، فكَّر أن يهبط فيه، لكنَّه تردَّد. دار دورة ثانية فاكتشف مكانًا خاليًا في طرف المطار، قال لقائد الطائرة الذي كان يراقب الموقف: سوف اهبط هنا.

قال القائد: إننا لم نأخذ الإذن بعدُ.

ردَّ «أحمد»: إنهم يخشون هبوطنا وكمية الوقود الموجودة في الطائرة كبيرة، وهذا قد يعرضنا لخطر ما، فقد تصل طائرة فجأة ويقع ارتباك يحقِّق كارثة لنا وللآخَرين.

قال القائد: إن الهبوط بجناح واحد، مسألة غير مأمونة.

فردَّ «أحمد»: وهي ليست مأمونة ونحن في الفضاء، بل إن وجودنا في الفضاء مغامرة أشد.

ولم ينطق قائد الطائرة. فهو يعرف أن «أحمد» محقٌّ، لكنه في نفس الوقت، لا يأمن مغامرة الهبوط.

نظر «أحمد» إلى مؤشر الوقود. فعرف أنه يحتاج لساعات حتى يفرغ منه، في نفس الوقت، فهو لا يأمن البقاء في الفضاء، كانت الطائرة تدور حول المطار، والركاب بدأت أصواتهم ترتفع، فقرَّر أن يهبط، أكمل نصف دورة، حتى وصل إلى المنطقة الخالية في طرف المطار. وقال مخاطبًا برج المراقبة: سوف أهبط الآن، فكونوا على استعداد.

وقال قائد البرج: إنني أمنعك من الهبوط.

لكن «أحمد» كان فعلًا قد حدَّد مساره، وبدأ يهبط في هدوء، بعد أن خفض سرعة الطائرة إلى حدِّها الأدنى، كان طاقم الطائرة يراقبه وقد أمسك أنفاسه، فهي عملية شاقة، بل إنها أشقُّ عملية يمكن أن يقوم بها قائد لطائرة. وسمع «أحمد» صوت قائد برج المراقبة يقول: إنه مجنون هذا الطيار.

وفجأةً لامست عجلات الطائرة أرض مهبط الطائرة. وكان من حُسن حظه أن هبَّت رياح قوية حقَّقَت توازن الطائرة، حتى استقرَّت على الأرض وظلَّت مندفعة في طريقها، وهي تأخذ خط الدوران حتى توقَّفَت، وفجأةً هبط صمتٌ على الطائرة ولم يسمع «أحمد» أي صوت.

الوصول في الوقت المناسب!

كان الصمت الذي خيَّم على الطائرة مثيرًا جدًّا، قفز «أحمد» إلى خارج كابينة القيادة، تبعه «فهد». عندما وقف عند بداية مقاعد الطائرة، وقعت عيناه على منظر، لا يستطيع أن ينساه أبدًا. كان الركاب جميعًا يبكون في صمت. برغم أن أعماقه ابتسمت إلا أنه شعر بالأسى فهو يعرف يقينًا أنهم جميعًا كانوا ينتظرون النهاية، فجأةً كانت يدٌ تربت على كتف «أحمد» وعندما الْتَفتَ كان كابتن الطائرة يقف مبتسمًا، وقد امتلأت عيناه بالدموع، وفجأةً احتضن «أحمد» وهو يهمس: إنني مَدين لك بأكثر من عمري.

ربت «أحمد» على ظهره، في نفس الوقت كانت هناك أصوات حادة تأتي من الخارج استمع إليها «أحمد» ثم ابتسم، لقد فهم أن كابتن برج المراقبة هو الذي يتحدَّث وعندما فتح باب الطائرة ظهر الكابتن فعلًا في ملابسه الرسمية وهو يصيح: أين هذا العبقري المجنون.

تقدَّم منه كابتن الطائرة، يحاول أن يرسم ابتسامة على وجهه وقال: هذا هو البطل الذي أنقذنا.

وأشار إلى «أحمد» في إعزاز، تقدَّم كابتن برج المراقبة من «أحمد» وهو يُخفي ابتسامة، وقال: أنت جعلتني أكاد انفجر غيظًا.

ثم مدَّ يده يشد على يد «أحمد» ويُضيف: نعم كدتُ أن أنفجر لكن الآن سوف أنفجر من السعادة.

ثم ضحك وأكمل: إن ما فعلتَه لا يستطيع أحد أن يُقْدِم عليه أبدًا.

انتظرَ لحظة وهو يربت على كتف «أحمد»: لقد أثبتَّ أنك مغامر عظيم.

وفي لحظة كان الركاب يغادرون الطائرة، فقد قرَّر طاقم المهندسين الذين كشفوا على الطائرة، أنها تحتاج لاستبدال الجناح. في نفس الوقت قرروا أنها معجزة، فقد كان الجناح

على وشك الانفصال عن جسم الطائرة. واجتمع الشياطين حول «أحمد» وهم سُعداء به، بينما كانت سيارات الأتوبيس تقترب لتنقل الركاب إلى طائرة أخرى، ولم تمضِ ربع ساعة إلا وكانت الطائرة الجديدة تأخذ مسارها في الفضاء. فجأةً، جاء صوت مذيع الطائرة، يرحِّب بالركاب ويقدِّم الشكر لـ «أحمد»، ثم أعلن أن طاقم الطائرة، سوف يحتفل بالبطل على طريقته الخاصة، ولم يمضِ وقت حتى كان كابتن الطائرة يقف أمام «أحمد» وهو يدعوه إلى كابينة القيادة. قال «أحمد»: أرجو أن تأذن لي في اصطحاب زملائي.

قال الكابتن: إن ذلك يُسعدنا فعلًا.

تقدَّم الشياطين إلى كابينة القيادة، حيث كانت هناك «تورتة» رائعة في انتظارهم مع أكواب العصير. تم الاحتفال الظريف بالشياطين، بعدها استأذن «أحمد» في العودة، فهو في حاجة إلى الراحة، وعندما ألقى نفسه في مقعده كان يشعر بالرغبة في النوم، فقد كانت الساعات الطويلة التي مرَّ بها في المغامرة قد أجهدته عصبيًّا تمامًا، ولذلك استغرق في النوم مباشرة، ولم يستيقظ إلا عندما كان كابتن الطائرة يهزه في رفق، ليخبره أنهم يقتربون من «موسكو». ابتسم «أحمد» وتمطَّى، وكأنه يستجمع نشاطه، فجأة، ظهر أحد ضباط الطائرة، وهمس في أذن القائد، ورغم أن «أحمد» لم يسمع الكلمات الهامسة، إلا أنه فهم من تعبير وجه القائد أن هناك مشكلة ما. ابتسم وهو يقول للقائد: لا بأس، ويبدو أنه يوم الأزمات.

حاول القائد أن يرسم ابتسامة وهو يقول: لا أظن أنها أزمة.

قال «أحمد»: هل تأذن لي بمصاحبتكم؟

مرة أخرى، ظهر على وجه القائد ابتسامة وقال: إن ذلك سوف يُسعدني جدًّا.

وبسرعة كانوا يأخذون طريقهم إلى كابينة القيادة، وهناك كانت المفاجأة، إن برج المراقبة في مطار «موسكو»، قد أخبرهم أن الجو فوق المطار لا يصلح للاقتراب منه، فهناك دوَّامات هوائية عنيفة، وتوقع بسقوط ثلوج كثيفة. قال «أحمد»: لا بأس، هل يمكن الهبوط في مطار آخَر؟

رد القائد: إن أقرب مطار يحتاج لوقود لا تحمله الطائرة الآن، فالوقود الموجود في الطائرة، لا يمكن أن يكفي إلى هناك!

قال «أحمد»: إذَن، لا بد من الهبوط في مطار «موسكو».

ردَّ الكابتن: للأسف نعم.

ابتسم «أحمد» وقال: إنني المغامر المجنون.

ضحكت مجموعة القيادة ضحكات عصبية، وقال الكابتن: إن الظروف مختلفة عن المغامرة السابقة.

قال «أحمد»: لا بأس نجرِّب، وعلى كل حال إن الجو البارد أقل ضررًا من الأجواء الحارة.

ثم جلس إلى مقعد القيادة، وتحدَّث إلى برج المراقبة، وشرح له الموقف كاملًا، الوقود لا يكفي ... نأمل الوصول إلى أقرب مطار، ومن الضروري الهبوط في أقرب ممر وطلب منه تحديد مدى الرؤية على المهبط وحدوده على أن يكون المطار مستعدًّا لأي ظرف طارئ.

وجاء رد برج المراقبة بتلبية كل طلباته.

استعد «أحمد» وخفض من سرعة الطائرة، فهو يعرف أن بطء السرعة، يعطي للطائرة وزنها في حين أن السرعة تجعلها أخف، وفي هدوء وتبعًا لإرشادات برج المراقبة اتجه إلى المهبط المحدَّد للطائرة. فجأة كانت دقات قوية تنزل على جسم الطائرة، فعرف أنه الثلج، رفع من درجة التكييف داخل الطائرة، حتى يذيب الثلوج التي تتجمد على الزجاج. وعندما لمست عجلات الطائرة أرض المطار هبَّت عاصفة جعلت الطائرة تهتز لكنها كانت قد استقرَّت على الأرض. وارتفع التصفيق من كل مكان.

تقدم «أحمد» بالطائرة في هدوء، حتى الْتَصقَ بها السلم وعندما فتح الباب أخذ الركاب طريقهم جَرْيًا وكأنهم يهربون من خوفهم، برغم أن قائد الطائرة أصرَّ على الاحتفال مرة أخرى بـ «أحمد» ولكنه اعتذر، لأنه مرتبط بموعد هام، ولم تمضِ نصف ساعة حتى كان الشياطين يدخلون المقر السري في «موسكو». كان الليل يحيط بـ «موسكو». والشتاء ثقيل هذا العام، كما عرفه الشياطين من قائد السيارة التي أقلَّتْهم من المطار إلى المقر. ولم تمضِ دقائق حتى كانت رسالة شفرية تصل إليهم من عميل رقم «صفر» يقول فيها: إنهم قد تأخروا وأن الصيد قد يُفلت منهم. وأن الطائر سوف يحلِّق الليلة مغادرًا القفص في طريقه إلى الفضاء. فهمَ الشياطين معنى الرسالة.

وقال «أحمد»: إن هذا معناه أن نتحرَّك الآن. لقد تعطَّلْنا كثيرًا، وكانت الرحلة سيئة للغاية.

قال «مصباح»: إلى أين نتحرَّك؟ وكيف؟

نظر لهم «أحمد» قليلًا، ثم رفع سماعة التليفون، فجاءه صوت عميل رقم «صفر» يقول: إنني أتحدَّث إليكم من الخط الخاص. إن الطائرة التي تنقل عميلنا ومعه الأسرار النووية سوف تقلع بعد ساعة من الآن! فهو في طريقه إلى مطار سري، يبعد عنا نصف ساعة بسرعة مائتي كيلومتر وإذا انطلقت الطائرة فإن الهدف يكون قد أفلت منا.

سأل «أحمد»: هل لنا عميل آخَر بين طاقم الطائرة؟

رد العميل: نعم. الملاح «جرينوف» وسوف تكون كلمة السر «نهار».

سأله «أحمد»: كم عدد طاقم الطائرة؟!

جاء رد العميل: خمسة.

قال «أحمد»: إذَن لا بأس، نحن في الطريق إلى هناك! ثم أضاف بسرعة: هل سيارتنا جاهزة؟

رد العميل: وكمبيوتر السيارة مجهَّز بكل شيء، وعنده كل المعلومات التي تطلبونها.

قال «أحمد»: إذَن إلى اللقاء.

عندما وضع السماعة، نظر للشياطين وقال: السيارة جاهزة، وداخلها ملابس الطيارين.

وفي لحظات كانت السيارة تنهب الطريق في سرعة الصاروخ، كان الليل مُظلمًا جدًّا ولم تكُن أضواء الشوارع تفيد أمام كثافة الزحام، وكثافة الثلوج التي تتساقط بكميات هائلة، لكن سيارة الشياطين كانت مجهَّزة لمثل هذا الجو الغريب.

قال «أحمد»: إنه يوم شاق، وقد تعطَّلْنا كثيرًا. لكن لا بأس.

ثم ضغط زرًّا في كمبيوتر السيارة، فظهرت المعلومات، كانوا يتابعونها بسرعة في نفس الوقت، قال «خالد»: ينبغي أن نلبس ملابس الطيارين، حتى لا نضيع وقتنا.

فجأة، أضاءت لمبة خضراء في كمبيوتر السيارة، وجاء صوت يقول: أهلًا بكم. إنني العميل رقم «٢». غرفة الطيارين عند الزاوية ١٦. الحركة تبدأ في الساعة الثانية، كل شيء تمام.

ابتسم «مصباح» وقال: كل شيء تمام.

قال «أحمد»: نرجو إلا نُفاجَأ بشيء.

ثم أضاف: إن الخطة هي القبض على الطيارين أولًا، ثم نحل مكانهم، وإذا تحقَّق ذلك بشكل جيد، فإن المغامرة تكون قد تحقَّقَت كاملة، مع كل الظروف الصعبة التي قابلناها اليوم.

نظر «أحمد» في ساعته، وكانت تشير إلى الساعة الثانية إلا ثلث. فقال: أمامنا ثلث ساعة فقط ويتحرَّك طاقم الطائرة من مكانه.

لكن لم تمضِ عشر دقائق حتى كانت السيارة تقف قريبًا من المبنى الذي يقع في مقدمة المطار ... ويجلس فيه الطيارون. وبسرعة كان الشياطين يغادرون السيارة ... ويتسلَّلون في هدوء إلى حيث ظهر ضوء خافت، يتسلَّل من إحدى نوافذ الغرفة!

كلمة السر ... «نهار»!

لم تكُن هناك حراسة على غرفة الطيارين، كان كل شيء هادئًا تمامًا، وحتى الثلوج التي ظلَّت طوال الطريق تنزل في عنف، هدأت، والرياح العاصفة هدأت هي الأخرى، وكأن الجو متفق مع المغامرة. كان «أحمد» يتقدَّم المجموعة، وقد لبسوا ملابس الطيارين، والآن الشياطين يستطيعون الذهاب إلى الطائرة، والإقلاع بها لكن العميل الذي يحمل الأسرار النووية ليس موجودًا. لأنه سوف يصل في سيارة خاصة، عندما تكون الطائرة جاهزة للإقلاع، إذَن لا بد من التخلُّص من الطيارين أولًا.

في نفس الوقت لا يستطيع الشياطين استخدام الدخان حتى لا يصاب «جرينوف» فقد كان عليهم أن يدخلوا الغرفة التي كانت مغلقة، اقترب «أحمد» من الباب، وردَّد كلمات كأنه يغنِّي: عندما يطلع النهار! وانتظر لحظةً، ثم فتح الباب في هدوء وجاء صوت يقول: الساعة الثانية تمامًا، علينا أن نتحرك.

جاء صوت آخَر يقول: علينا أن نَصِل قبل أن يطلع النهار.

فهمَ الشياطين أن هذه كلمة السر، وأن الآخَر الذي تحدَّث هو «جرينوف» ولم يتحرَّك الشياطين أية حركة، ظلُّوا مُختفِين في الظلام، في انتظار ظهور طاقم الطائرة. وداخل الضوء الساقط من داخل الغرفة، ظهر الطيارون الخمسة، الواحد بعد الآخَر. وعندما خرجوا جميعًا وأصبحوا خارج الغرفة كان الشياطين الخمسة يقفزون قفزة واحدة، وكلٌّ منهم قد انفرد بواحد من الطاقم، حتى «جرينوف» نفسه، فقد نال ضربة قوية، لكن الضربة الأولى لم تكُن كافية، فقد ظهر أن الطيارين، يُجيدون ألعاب الكاراتيه، والكونغ فو، فما إن سقط أولهم حتى استعاد اتزانه، ودار حول نفسه في حركة رشيقة تمامًا، وهو يوجِّه عدة ضربات متتالية لـ «أحمد» الذي كان يتفاداها بنفس الرشاقة، لكنه في نفس الوقت، كان يعجب لهذه السرعة التي يمارس بها الضابط ألعابه، وكأنه واحد من الشياطين. فجأةً، تردَّد في الفضاء صوت طلقة رصاص، أطلقها الضابط الذي اشتبك معه

«خالد» لكن الطلقة لم تصِبْ أحدًا؛ فقد استطاع «خالد» أن يتفاداها وأن يضربه ضربة قوية في يده أصاب الهدف تمامًا، وأسقط المسدس من يده، وعندما انشغل الضابط بيده التي أصابتها الضربة كان «خالد» قد استطاع أن يقفز إليه وهو يوجِّه له ضربة سريعة، لكن الضابط تلقَّاها في براعة، وردَّ عليها بضربة خطافية أصابت «خالد» في فكِّه. لكنه هو الآخَر، استطاع أن يخفِّف من حدَّتها ببراعة، وظلَّ الاشتباك مستمرًّا بينهما. كان «فهد» يقذف بمَن أمامه فيطير في الهواء وقبل أن يسقط، يتلقَّاه «فهد» في ثقة وقد ثنى ساقه، فنزل الضابط على ركبة «فهد» وصرخ، فقد كان السقوط عنيفًا، أما «باسم» فقد كان يبدو وكأنه يلعب في سيرك، ذلك أن الذي اشتبك معه كان «جرينوف» نفسه. وكان عليهما أن يظلَّا في حالة تمثيل معركة حتى لا ينكشف «جرينوف»، وكان «مصباح» قد ضرب هدفه ضربة مستقيمة جعلَتْه يقفز بعيدًا، وعندما انتظر أن يرد الضربة لم يجده … فأيقن أنه هرب في الليل، وكانت هذه مشكلة، كانت المعركة عنيفة، وكانت تحتاج لَمن يسجِّلها كما قال «أحمد» فيما بعد، وعندما انتهت كان طاقم الطائرة قد استسلم تمامًا إلا ذلك الذي هرب …

قال «أحمد»: الأهداف معنا.

جاء صوت «مصباح»: آسف، فقد هرب الهدف.

وكأن صدمةً قد أصابت «أحمد» فلم ينطِق مباشرة، إن هروب أحدهم يمكن أن يفسد كل شيء، وبسرعة أخرج الكشاف، ووجهه في الاتجاه الذي حدَّدَه «مصباح»، ثم ضغط زرًّا فيه انطلقت أشعة غير مرئية من الجهاز، ثم ارتدت سريعًا. وقال «أحمد» إنه لا يبعد أكثر من نصف كيلومتر، ويمكن اللحاق به، والقبض عليه، فأظن أنه مُنهَك تمامًا.

اندفع «مصباح» في الاتجاه المطلوب، أما بقية الشياطين فقد حمل كلٌّ منهم هدفه، إلى حيث غرفة الضباط. وحتى «جرينوف» كان يحمله «باسم» الذي كان يشعر بالتعب فقد كان «جرينوف» ثقيل الوزن، وفي الغرفة تم تخديرهم وربطهم بالحبال وإخفاؤهم، وبقي انتظار السيارة الهامة، التي تحمل الأسرار النووية، نظر «أحمد» في اتجاه «خالد» وقال: هل تم ربط «جرينوف».

ردَّ «خالد» طبعًا، فهذا ليس نهاية المطاف، فإذا انكشف «جرينوف» فسوف نخسره نهائيًّا، وقد نخسر غيره.

فجأة، ظهر «مصباح» وحده. نظر له «أحمد» في تساؤُل، فقال «مصباح»: لا بأس لقد انتهى كل شيء فقد وجدتُه مُلقًى على الأرض، لا يستطيع الحركة.

قال «أحمد»: لعلَّك تركتَه وعُدتَ.

ابتسم «مصباح» وقال: نعم بعد أن قيَّدتُه بالحبال. وأخفيتُه خلف تبةً رملية هناك.

هدأ وجه «أحمد» وظهرت فوقه ابتسامة هادئة. ثم قال: الآن، علينا أن نتوجه إلى الطائرة.

بسرعة نظفوا ثيابهم، وغسلوا وجوههم فأصبحوا كما كانوا. ثم خرجوا الواحد بعد الآخَر. وأغلقوا الغرفة بطريقة لا يمكن فتحها إلا في وجود الشياطين، أو نسفها. كان «أحمد» يفكِّر: إننا لم نستفِد جيدًا من «جرينوف» إلا من إشارة واحدة. وكان ينبغي أن يكون معنا لكنه عاد يقول لنفسه: إنه قد لا ينكشف، ثم إن طاقم الطائرة خمسة، ونحن خمسة. ولا نستطيع أن نضحِّي بواحد من الشياطين ثم أخذوا طريقهم إلى الطائرة التي لم تكُن بعيدة. فهمس «فهد» مبتسمًا: إنه يوم الطائرات.

ابتسم «أحمد» وقال: هذه أول مرة نقابل فيها هذا الحظ السيئ.

قال «باسم»: لكن الأمور سارت في طريقها برغم كل شيء.

فجأة تردَّد ضوء، ظهرَ ثم اختفى، ثم ظهر ثم اختفى ... قال «أحمد» لعلها السيارة الهامة! ثم أضاف: لا بأس. علينا الاستمرار في طريقنا.

بدأ صوت موتور السيارة يقترب، فقال «مصباح»: أَقترح أن نظل خارج الطائرة فذلك يعطينا حرية أكبر.

قال «خالد»: خصوصًا ونحن هدفنا الطائرة ذاتها، ونحتاجها سليمة.

قال «أحمد»: ربما لفت ذلك نظرهم.

قال «باسم»: لا أظن، بل إننا خارج الطائرة يمكننا أن نرحِّب بهم.

اقترب صوت الموتور أكثر، وفجأةً ... شمل المكان ضوء قوي صادر من السيارة.

فقال «أحمد»: ما المقصود؟

قال «فهد»: لعلَّها إشارة لأن نستعد.

اتجهوا للطائرة، وقال «أحمد» اصعدوا، وسوف أبقى للقائهم.

صعد الشياطين. وبقي «أحمد» في حين كانت السيارة قد اقتربت تمامًا. ثم توقفت. ألقى «أحمد» عليها نظرة فاحصة، واستطاع أن يحدِّد عميل رقم «صفر» فقد رفع يده ومسح بها فوق رأسه. ففهم «أحمد» أنها إشارة تعارُف. ولم يكُن العميل وحده. كان معه أربعة آخرون، أحدهم يحمل صندوقًا في شكل حقيبة، اقتربوا من «أحمد»، فجأةً ظهرت الدهشة على وجه أحد الرجال ... ثم همس في أذن العميل الذي ادَّعى الدهشة هو الآخَر، لكنه همس بكلمات جعلت الرجل يتوقَّف، كان الرجل ينظر إلى «أحمد» نظرات فاحصة، ثم قال في حِدَّة: وهو يخاطب «أحمد»: كابتن «بلوف».

أدركَ «أحمد» بسرعة، أن اسم قائد الطائرة هو «بلوف» رسم ابتسامة على وجهه وقال: الكابتن «بلوف» اعتذر يا سيدي. فقد أصابته نزلة برد أجهدَتْه جدًّا.

لكنَّ عينَي الرجل كانت كصقر. نظر له العميل وقال: هذه مسألة طبيعية أن يعتذر الكابتن «بلوف» يا عزيزي «كالين».

لكن «كالين» وقف مُتشكِّكًا، وفجأةً أخرج من جيبه جهازًا صغيرًا، ثم أجرى به عدة عمليات سريعة وانتظر. بينما قال العميل: ماذا يا عزيزي «كالين» ... إن الجو قد تحسَّن، ويجب أن نتحرك الآن.

قال «كالين» في هدوء حاد: ينبغي أن أبلِّغ الزعيم؛ فهناك شيء غامض.

نظر إلى الجهاز في يده، ثم ظهرت الدهشة على وجهه، أدرك «أحمد» أن الموقف قد تعقد وأن وجودهم قد انكشف. وقبل أن يفكِّر أحد في شيء كان قد أطلق صفارة يفهمها الشياطين، في نفس الوقت الذي طار فيه في الهواء وضرب «كالين» ضربة قوية، جعلته يصطدم بالرجال الذين يقفون خلفه، فسقط الجميع على الأرض، في نفس اللحظة كان الشياطين قد قفزوا من الطائرة إلى الأرض، بينما انتحى العميل جانبًا وقد أمسك بالحقيبة الحديدية، وبدأت معركة رهيبة بين الجميع، فقد اشتبك «أحمد» مع «كالين» في صراع عنيف، ذلك أن «كالين» مفتول العضلات يُجيد الصراع جيدًا. أما «فهد» و«خالد» و«باسم» فقد اشتبكوا مع الثلاثة الآخرين بينما وقف «مصباح» متحفِّزًا لأي طارئ، في نفس الوقت كان يفكِّر: من الضروري أن يصل آخَرون وقد تفشل المغامرة، ونفقد هدفنا ... أطلق صفارة طويلة ثم قفز في اتجاه «أحمد» و«كالين» فانسحب «أحمد» مباشرة بينما «مصباح» يسدِّد ضربة لـ «كالين» بعد أن طار في الهواء كان «كالين» قد أجهده الصراع مع «أحمد» بينما «مصباح» لا يزال يحتفظ بكل نشاطه، همس العميل: لا تتركني هكذا.

وبسرعة فهم «أحمد» ما يقصد، فاندفع نحوه في حركة تمثيلية، ووجَّه إليه عددًا من الضربات المتتالية السريعة فسقط على الأرض وأخذ «أحمد» الحقيبة الحديدية ثم أطلق صفارتين متتاليتين وقفز إلى الطائرة، في نفس اللحظة كان الشياطين قد كسبوا معركتهم وتركوا الآخَرين ممدَّدِين على الأرض، وفي رشاقة قفزوا إلى الطائرة، في الوقت الذي أدار «أحمد» فيه المحرِّك، وعندما كان صوت سيارة يقترب كانت الطائرة تحلِّق في الفضاء، بينما قال «خالد»: أخشى أن تكون المعركة القادمة في الفضاء.

رد «فهد»: مَن يدري؟ فهم لن يتركونا.

وغنَّى الشياطين معًا ... أغنية النصر!

هنـــداوي